العدد 19 تشرين الثاني 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.19 – Nov 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الاستغفار وفوائده

م.م براءة جاسم محمد
مديرية تربية ديالى

الملخص

يبيّن هذا البحث حقيقة الاستغفار بوصفه عبوديةً جامعةً بين الذكر اللساني والانكسار القلبي، محرّراً معناه اللغوي والاصطلاحي، ومستقرأً أصوله القرآنية الأربعة: الاستغفار من الذنب والشرك، وروده بمعنى الصلاة، ووقوعه على حقيقته (طلب المغفرة)، وروده بمعنى الإسلام في بعض التفاسير. كما يعرض أبرز ثماره: مدحُ أهله وفضلُ الأسحار، وكونُه سبباً للرحمة، ودافعاً للعذاب، ومفتاحاً للرزق، وهو الطريق الذي سلكه الأنبياء عليهم السلام. يعتمد البحث منهجاً وصفيّاً تحليليّاً يقوم على الاستقراء النصّي والمقارنة التفسيرية، مع ضبط المصطلحات والإحالة إلى أمهات التفاسير، وبيان حدود الموضوع وهيكله. تُسهم هذه المقاربة في تصحيح التصوّر العملي للاستغفار وربطه ببنية الهداية القرآنية وسلوك المسلم الفردي والجماعي.

الكلمات المفتاحية: الاستغفار؛ التوبة؛ القرآن الكريم؛ السنن الإلهية؛ قيام الليل؛ الرحمة؛ الرزق؛ الأنبياء.

Abstract

This study examines istighfār (seeking divine forgiveness) as a devotional act that unites verbal remembrance with inward contrition. It clarifies the concept linguistically and technically and inductively maps four Qur’anic bases for istighfār: repentance from sin and shirk; its usage as a metonym for prayer; its literal sense as requesting forgiveness; and, in some exegetical readings, its association with entering Islam. The paper then outlines key outcomes: divine commendation of those who seek forgiveness—especially at pre-dawn hours—its role as a cause of mercy, a deterrent to punishment, and a means of increased provision, as well as its embodiment in the lives of the prophets. Methodologically, the study adopts a descriptive–analytical approach grounded in textual induction and comparative exegesis, with careful term discipline, defined scope, and a clear structure. This integrated framework refines practical understanding of istighfār and ties it to Qur’anic guidance for personal and communal conduct .

Keywords: Istighfar; repentance; Qur’anic studies; divine causality; night vigil; mercy; provision; prophetic praxis.

المقدّمة:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيّدنا محمّدٍ خاتمِ النبيين، وعلى آله وصحبِه أجمعين. أمّا بعد:

فإنَّ الاستغفار في القرآن الكريم مَعْلَمٌ لافت، تكرّر ذكرُه وتنوّعت أساليبه في سورٍ كثيرة؛ لأنّ الله تعالى هو الغفور والغفّار وواسع المغفرة، يرغّب عباده في جنّته ومغفرته، ويدعوهم إلى ملازمة الاستغفار والتوبة إليه. ومن هنا جاءت فكرةُ هذا البحث لتأصيل معنى الاستغفار وبيان أصوله القرآنية، مع عرضٍ موجزٍ لشيءٍ من فضائله وثماره الدنيوية والأخروية؛ إذ ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جلُّه.

يهدف هذا العمل إلى تحرير مفهوم الاستغفار في اللغة والاصطلاح، واستقراء أصوله الدلاليّة في النصّ القرآني، ثم بيان أبرز فوائده عبر نماذج مختارة من الآيات، مع الإفادة من جهود المفسّرين قديماً وحديثاً. وقد روعي في العرض وضوح التعريفات، وانضباط المصطلحات، وحُسن ترتيب المباحث، والإحالة إلى المصادر الأصيلة المعتمدة.

مشكلة البحث وأهميّته

المشكلة: تشتّت المفهوم العمليّ للاستغفار بين معناه القَلبيّ واللّفظيّ، وتداخلُه مع التوبة والدعاء، على نحوٍ يُضعف إدراك علاقته ببنية الهداية القرآنية.

الأهميّة: جمعُ الأصول القرآنية المؤسِّسة لمعنى الاستغفار، وربطُها بالتفسير المأثور والمعقول، يُعين الباحث والواعظ والمربّي على تصحيح التصوّر وتقويم السلوك، ويقدّم إطاراً دلاليّاً يمكن البناء عليه في دراساتٍ لاحقة تربط بين الاستغفار ومجالات كالإصلاح الاجتماعي والوقاية من الذنوب.

أهداف البحث

1-تحرير معنى الاستغفار في اللغة والاصطلاح، وبيان الفروق بينه وبين التوبة والدعاء والمغفرة.
2-استقراء الأصول القرآنية التي ينتظم تحتها الاستغفار (السياق العقدي، والسلوكي، والبلاغي، والسنني).
3-استخراج أهمّ فوائد الاستغفار وثماره من خلال نماذج قرآنية متنوّعة.
4-ترجيح دلالات راجحة عند تعدّد الأوجه، بالرجوع إلى أمهات التفاسير والمعاجم.

أسئلة البحث:

1. ما الحدّ الدقيق للاستغفار في اللغة والاصطلاح؟ وما علاقته بالتوبة والمغفرة؟
2. ما أبرز الأصول الدلالية التي يرجع إليها الاستغفار في القرآن؟
3. ما أهمّ الفوائد القرآنية المترتّبة على ملازمة الاستغفار فرديًا ومجتمعيًا؟

منهجية البحث وأدواته:

المنهج: وصفيٌّ تحليليٌّ قائمٌ على الاستقراء النصّي لآيات الاستغفار، مع تحليل دلالي للسياقات، ومقارنة تفسيرية بين مصادر المذهبَين المأثور والمعقول.

الأدوات: الرجوع إلى مصادر التفسير بمختلف أطوارها، والمعاجم اللغوية وكتب الوجوه والنظائر، وفهارس موضوعيّة للقرآن الكريم، مع توثيقٍ دقيقٍ للمراجع المعتمدة.

حدود البحث

موضوعيًّا: ينصرف إلى معنى الاستغفار وأصوله وفوائده، دون التوسّع في كل الجزئيات العقدية والفقهية المتعلّقة بمباحث التوبة والكفّارات.

نصيّاً: يعتمد المصطلح القرآني أساسًا، ويستأنس بسنّة النبي ﷺ في المواضع التي تُعين على فهم الآية.

هيكلية البحث:

المقدّمة: تمهيد، مشكلة، أهداف، أسئلة، منهجية، حدود.
المطلب الأوّل: الاستغفار بين اللغة والاصطلاح
المطلب الثاني: أصول الاستغفار في القرآن الكريم
المطلب الثالث: فوائد الاستغفار من خلال نماذج قرآنية مختارة
الخاتمة: أهمّ النتائج والتوصيات البحثية.
قائمة المصادر والمراجع

المطلب الأول: الاستغفار لغةً واصطلاحاً

الاستغفار لغةً: أصلُ الغَفْر في العربية: السَّتر. ويأتي الغُفران والغَفْر بالمعنى نفسه. يُقال: "غفرَ اللهُ ذنبَه غَفْراً ومغفرةً وغُفراناً"[1]، كما يُستعمل بمعنى التغطية[2]. ومنه: "غفره يغفره غفراً" أي ستره؛ فكلُّ ما سترتَه فقد غفرتَه، ولهذا كان الغَفْر والمغفرة: تغطيةَ الذنب والعفوَ عنه[3].

وفي مجمع بحار الأنوار: (الغفّار) و(الغفور) هما الساترُ للذنوب والعيوب والمتجاوزُ عنها، وأصلُ الغفر لغويّاً: التغطية؛ فكأنّ المغفرة إلباسٌ للعفو على المذنبين[4].

وبهذا يتبيّن أنّ "الغَفْر" عند أئمّة اللغة لا يخرج عن معنى الستر والتغطية.

الاستغفار اصطلاحاً: اختلفت عباراتُ الأئمّة في تحرير المعنى الشرعيّ للاستغفار، بحسب ما لاحظَه كلٌّ منهم من زاويةٍ دلاليّة، ويمكن إجمال أبرزها على الترتيب الزمني الآتي:

قال الطبري (ت 310هـ): الاستغفار هو طلبُ العبد من ربّه عزّ وجلّ غفرانَ ذنوبه[5]، وعلى هذا المعنى جرى أبو حيّان الأندلسي إذ عرّفه بأنّه سؤالُ اللهِ بعدَ التوبةِ الغفران[6]، وبيّن أن المغفرة: وقايةٌ من شرّ الذنوب مع سترِها[7]، وذلك بأيّ عبارةٍ تؤدّي هذا المقصود[8].

وذكر الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) أنّ الاستغفار هو طلبُ المغفرة[9]، ويكون ذلك بالقول والعمل[10]؛

---

[1] ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م، 385/4.

[2] ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ – 1987 م، 770/2.

[3] ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 246/13.

[4] مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت: 986هـ)، ط3، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1387 هـ – 1967م، 47/4.

[5] جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ – 2000 م، 198/22.

[6] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، 349/3.

[7] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت 795هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1424 هـ – 2004 م، 1163/3.

[8] التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت 1182هـ)، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، ط1، مكتبة دار السلام، الرياض، 1432 هـ – 2011 م، 236/4.

[9] وهو تعريف ابن عطية (ت 541هـ) في تفسيره. ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ، 441/1.

وبه قال الطيّبي[11]، وإسماعيل حقي البروسوي[12].

وقال ابن الأثير الجزري (ت 606هـ): الاستغفار هو طلب المغفرة، كأن يقول المستغفر: "اللهم اغفر لي"، أو يقول: "أستغفرُ الله"[13].

وحرّر تقيّ الدين السبكي (ت 756هـ) أنّ "الاستغفار طلبُ المغفرة إمّا باللسان أو بالقلب أو بهما معًا. فالأوّل نافعٌ؛ لأنّه خيرٌ من السكوت أو لأنّ صاحبه يعتاد قولَ الخير، والثاني أنفعُ، والثالثُ أبلغُ منهما؛ لكنّهما لا يُمحِّصان الذنوب حتى تقع التوبة"[14].

وخلاصةُ هذه التعريفات أنّها متقاربة تُظهِر حقيقةَ المقصود من الاستغفار ـ طلبَ سترِ الذنب والعفوَ عنه ـ دون التعرّض لأركانه وشروطه؛ إذ هذه خارجةٌ عن حدِّ التعريف الذي يُشترط فيه الجامعيةُ لحقيقة المعرَّف والمنعيةُ لغيره من الدخول فيه.

المطلب الثاني: أصول الاستغفار في القرآن العظيم

بالتتبّع والاستقراء يتبيّن أنّ الاستغفار في القرآن يجري على أربعة أصول رئيسة، على النحو الآتي:

الأصل الأوّل: الاستغفار من الذنب والشّرك.

يدلّ عليه قولُه تعالى: (**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**)[15]، وكذلك قولُه تعالى: (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**)، يعني: من الشّرك[16].

الأصل الثاني: الاستغفارُ بمعنى الصلاة.

ومنه قولُه تعالى: (**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**)[17]، يعني: وهم يُصلّون، وقولُه تعالى: (**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**)[18] قال: الصلاة. وكذا قولُه سبحانه: (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**)[19]، يعني: يُصلّون.

---

[10] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، 1412 هـ، 609.

[11] فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت 743 هـ)، تحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، ط1، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 1434 هـ – 2013 م، 13/ 457.

[12] روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت 1127هـ)، دار الفكر، بيروت، 157/8.

[13] الشافي في شرح مسند الشافعي لابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: أحمد بن سليمان – أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط1، المملكة العربية السعودية، 1426 هـ – 2005 م، 200/2.

[14] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت 1057هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، ط4، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1425 هـ – 2004 م، 718/8.

[15] سورة هود: 90.

[16] سورة نوح: 10.

[17] سورة آل عمران: من الآية 17.

[18] سورة الذاريات: من الآية 18.

[19] سورة الأنفال: من الآية 33.

الأصل الثالث: الاستغفارُ على حقيقته (طلبُ المغفرة).

كقوله تعالى في قصّة يوسف موجَّهًا إلى امرأةِ العزيز، وهي مشركة: (**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**)، يقول: استغفري زوجك لِئلّا يُعاقِبَكِ بذنبك[20]. قال أبو الحسن: استغفري لذنبك[21].

الأصل الرابع: الاستغفارُ بمعنى الإسلام.

وهو ما ذهب إليه بعضُ أهلِ التفسير في قولِه تعالى: (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**)[22]، قال مجاهدٌ وعِكرِمة: وهم يُسلِمون[23]، وقال عِكرِمة: دخولُهم في الإسلام[24].

المطلب الثالث: فوائد الاستغفار

للاستغفار فضائل كثيرة أبان عنها القرآن العظيم في عديدٍ من آياته المباركة، وهذا ذكر لبعض من هذه االفضائل، والتي منها:

1-أنَّ الاستغفار مأمور به في القرآن العظيم في غير ما موضعٍ منه، وأدنى مراتب الأمر هو الاستحباب:

أمر الله تعالى عباده المؤمنين، أن يستغفرونه في آيات عديدة، تحث على الاستغفار، وتدعو إليه، وتأمر به، ومن هذا الآيات:

اولاً: بالتتبّع والاستقراء يتبيّن أن الاستغفار في القرآن الكريم مأمورٌ به في غير موضع، وأدنى مراتب الأمر الاستحباب؛ إذ تكرّرت الآيات الحاثّة عليه والداعية إليه والموجِبة له بحسب المقام. ومن ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[25]. قال أبو حيّان الأندلسي: "وأمرهم بالاستغفار في مواطن مظنّة القبول وأماكن الرحمة؛ وهو طلب المغفرة باللسان مع التوبة بالقلب، إذ لا ينفع الاستغفار باللسان دون توبةٍ قلبيّة. وأُمِروا به وإن كان فيهم من لم يذنب؛ لأنه قد يقع تقصيرٌ في أداء الواجبات والاحتراز من المحظورات. وظاهر الأمر أنه طلبُ مغفرةٍ عامّة، لا مخصوصة بذنبٍ بعينه"[26].

ب- وقوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**﴾[27]. قال صِدّيق خان: "بعد الترهيب بالعذاب أمرهم بالاستغفار والتوبة؛ فقوله (**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**) من عبادة الأوثان، و(**ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**)

---

[20] سورة يوسف: من الآية 29.

[21] ينظر: الوجوه والنظائر الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى القارئ (ت 170 هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح االضامن، نشر وزارة الثقافة والإعلام االعراقية،ص: 29، الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت: 478 هـ)، تحقيق: عربي عبد الحميد علي، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت، ص: 29.

[22] سورة الأنفال: من الآية 33.

[23] معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي –بيروت، 1420 هـ، 290/2.

[24] الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الفكر – بيروت، 56/4.

[25] سورة البقرة : 199.

[26] البحر المحيط 304/2.

[27] سورة هود : 99.

من البَخْس والنقصان في المكيال والميزان، (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ) بالمؤمنين، (وَدُودٌ) للتائبين"[28].

ج- وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ... وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾[29]. قال الحافظ ابن رجب: "كثر في القرآن ذكرُ الاستغفار؛ فتارةً يُؤمَر به، وتارةً يُمدَح أهلُه"[30].

د- وقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[31]. قال ابن عادل الحنبلي: "الاستغفار في حقّ الأنبياء بعد النبوّة على ثلاثة أوجه: لذنبٍ تقدّم قبل النبوّة، أو لذنوب أمّته وقرابته، أو لأمرٍ كان مباحًا فجاء الشرع بتحريمه فتركه بالاستغفار. والاستغفار معناه: السمع والطاعة لحكم الشرع"[32].

هـ- وقوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾[33]. وفي الآية بعثٌ للمؤمنين على التوبة، وبيانٌ أن كلَّ مؤمنٍ محتاجٌ إلى التوبة والاستغفار—حتى النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار—وفيها إبانةٌ لفضل التوبة ومقدارها عند الله، وأن صفة التوّابين الأوّابين صفةُ الأنبياء، كما وُصفوا بالصلاح، ليظهر فضيلةُ الصلاح[34].

ثانياً: أهلُ الاستغفار ممدوحون من الله بالذِّكر الحسن والثناء العاطر

أ- قال تعالى: ﴿**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**﴾[35].

قال الكِرماني: في الآية قولان؛ أحدهما أنّ المراد بـ (المستغفرين بالأسحار) المصلّون في وقت السَّحَر، والثاني أنّهم الطالبون للمغفرة في ذلك الوقت، ونظيره: ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾. والعجيبُ ما حكاه الواحدي من تفسيرها بـ (المصلّين صلاة الصبح)، إذ قد انعقد الإجماعُ على إباحة السَّحور للصائم أثناء السَّحَر؛ فكيف تُصلَّى الصبحُ فيه؟![36].

---

[28] فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت 1307هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشر، صَيدَا – بَيروت، 1992 م، 234/6.

[29] سورة المزمل من الآية 20.

[30] روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط1، دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، 1422 – 2001 م، 149/1.

[31] سورة النساء: 106.

[32] اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1419 هـ –1998م، 7/7.

[33] سورة محمد: 19.

[34] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ ، 316/2.

[35] سورة آل عمران: 17.

[36] غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو 505هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، 247/1.

وقال القرطبي: لا تناقض بين القولين؛ فهم يصلّون ويستغفرون[37]، وإنّما سُمِّيَت الصلاةُ استغفارًا لأنّهم يطلبون بها المغفرة[38]، والسَّحَر: الوقت الذي يلي طلوع الفجر قبيلَه[39].

وقال الحسن البصري: كانوا يُحيون أوّلَ الليل بالصلاة، فإذا أقبل السَّحَر أكثروا الدعاءَ والاستغفار؛ وتخصيصُ هذا الوقت لأنّ الدعاء فيه أقربُ إلى الإجابة، إذ العبادةُ حينئذٍ أشقّ، والنفسُ أصفى، والروحُ أجمع—لا سيّما عند أهل الاجتهاد[40].

وقال الزجّاج: وصفَهم الله بما وصف، ثمّ بيّن أنّهم مع ذلك يستغفرون بالأسحار لشدّة خوفهم[41]، وفيه دلالةٌ على فضيلة الاستغفار وقت السَّحَر؛ وقد قيل: إنّ يعقوب عليه السلام لمّا قال لبنيه: ﴿**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**﴾ أخَّرهم إلى وقت السَّحَر[42].

ب- قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[43].

وُصِفوا بأنّهم يُحيون جُلَّ الليل مُتهجِّدين، فإذا أسحَروا أخذوا في الاستغفار من رؤية أعمالهم؛ وفي إسناد الفعل إلى الضمير (هم) إشعارٌ بأنّهم أولى الناس بهذه الصفة، كأنّهم المختصّون بها؛ لاستدامتهم لها وإطنابهم فيها[44].

وقال أبو القاسم القشيري: ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾: أخبر عنهم أنّهم—مع تهجّدهم ودعائهم—ينزلون أنفسهم منزلةَ العاصين في الأسحار، فيستغفرون استصغاراً لقدْرهم واستحقاراً لفعلهم. والليلُ: للأحبابِ أنسُ المناجاة، وللعُصاةِ طلبُ النجاة؛ وسهرُهم دائمًا إمّا لفرطِ أسَفٍ، أو لشِدّةِ لهفٍ، وإمّا لاشتياقٍ أو

---

[37] تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ – 1964 م، 38/4.

[38] زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422 هـ، 266/1.

[39] التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط1، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430 هـ، 106/5.

[40] تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 16/2.

[41] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ – 1994 م، 420/1.

[42] تفسير ابن كثير 19/2.

[43] سورة الذاريات: 18.

[44] تفسير أبي السعود، 138/8، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ، 468/5.

لفراقٍ[45].

ولذلك قال السلف: في الآية مدحُ قيام الليل والثناءُ على أهله[46].

وقال ابن عطية: ثمّ أمرَ تعالى بالاستغفار وأثبتَ لنفسه صفةَ الغفران لا إله غيرُه؛ قال بعضُ العلماء: فالاستغفارُ عقبَ الصلاة مُستنبَطٌ من هذه الآية، ومن قولِه تعالى: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ • وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[47].

وقال الشيخ السعدي: ومن أفضل صور الإحسان في عبادة الخالق صلاةُ الليل؛ فهي دليلُ الإخلاص وتواطؤ القلب واللسان؛ ولهذا قال: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ أي نومُهم بالليل قليل، وأكثره قنوتٌ لله—ما بين صلاةٍ وقراءةٍ وذكرٍ ودعاءٍ وتضرّع—﴿**وَبِالْأَسْحَارِ**﴾ قبيل الفجر، مدّوا صلاتهم إلى السَّحَر، ثمّ جلسوا في خاتمة قيامهم يستغفرون الله استغفارَ المذنب لذنبه؛ وللاستغفار في الأسحار فضيلةٌ وخصيصة ليست لغيره[48].

ثالثاً: الاستغفارُ من وصفِ عبادِ اللهِ المتّقين

إنَّ سِمَةَ المتّقين إذا أحدثوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم أن يُسارِعوا إلى باب ربِّهم بالاستغفار؛ قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ • أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾[49].

قيل: الفاحشة هي الكبيرة، وظلم النفس الصغيرة؛ ولعلّ الأولى ما يتعدّى ضرره إلى غير صاحبه، والثانية ما كان قاصراً على الفاعل. و(ذَكَرُوا اللهَ) أي: تذكّروا وعيدَه وحكمَه وحقَّه العظيم، فاستغفروا لذنوبهم نَدَمًا وتوبةً. و(وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ) استفهام بمعنى النفي، معترضٌ لتقرير سِعة رحمة الله وعموم مغفرته، والحثّ على الاستغفار، والوعد بقبول التوبة. ثم أثنى عليهم بأنهم لم يُصِرّوا على الذنب، أي لم يقيموا عليه غيرَ مستغفرين[50].

وذكرُ العبدِ ربَّه عند الذنب يكون إمّا بتذكّر نهيه ووعيده وعقابه، وإمّا بتذكّر جلاله وعظمته؛ وهما مرتبتان: دنيا لعامة المتّقين—يتذكّرون النهي والعقوبة فيُبادِرون بالتوبة والاستغفار—وعُليا لخواصّهم—إذا فرّط منهم ذنبٌ ذكروا المقامَ الإلهيّ الأعلى مصدرَ كلّ كمال، وغايةَ القُرب بالتخلّق والمعرفة؛ فإذا تذكّروا انصرف عنهم طائف الشيطان، ولَاح لهم نَفَسُ الرحمن، فرجعوا إليه طالبين مغفرتَه، راجين رحمتَه، ملتزمين سنّتَه، واردين شرعتَه، عالمين أنّه لا يغفر الذنوب إلا الله، وأنّ من دُعي سواه أضلّ، إذ

---

[45] تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 463/3.

[46] محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ، 436/7.

[47] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ، 391/5.

[48] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، 1420هـ –2000 م، 808.

[49] سورة آل عمران: 135–136.

[50] تفسير البيضاوي، 38/2–39.

الكُلَّ منه وإليه، وهو المتصرّف بسننه في خلقه[51].

رابعاً: جزاءُ الاستغفارِ المغفرة

من فضلِ الله على عباده أن فتح لهم بابَ الاستغفار، ثُم أكرمهم بالمغفرة والرحمة الواسعة، ولم يجعل جزاءً للاستغفار أعظمَ من الغفران؛ قال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[52].

وهذا عامٌّ في كلّ معصية؛ وذِكرُ (عملِ السوء) مع (ظلمِ النفس) ـــ وهما متقاربان ـــ للتوكيد وزيادة البيان. وقد ورد النصُّ مطلقاً من غير ذِكر التوبة؛ وهو عند أهل العلم مقيَّدٌ بالتوبة؛ لأنّ الاستغفارَ مع الإصرار لا ينفع. ومعنى (يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً)، أي: يجدُ المغفرةَ والرحمةَ له؛ إذ اللهُ غفورٌ رحيمٌ، استغفر هذا الظالمُ أو لم يستغفر، لكنّ حذفَ الضمير لدلالة السياق عليه؛ إذ لا معنى للترغيب في الاستغفار إلا على هذا الوجه[53].

وفي التعبير بـ (يَجِدِ اللَّهَ) مبالغةٌ بليغة؛ كأنّ المغفرةَ والرحمةَ مُعدّتان لطالبهما، مهيّأتان له متى قصدهما وجدهما. وجاء جوابُ الشرط مُصرَّحًا فيه باسم الجلالة ولم يأتِ بالضمير (فيقال: يجده)، لما في لفظ الجلالة من الجلال والتعظيم ما ليس في الضمير. ولمّا تقدّم شيئان: عملُ السوء وظلمُ النفس، قابلهما بوصفين: الغفران لعامل السوء، والرحمة لِمَن ظلم نفسه[54]. وهذه الآيةُ عدَّها ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه أرجى آيةٍ في القرآن[55].

خامساً: الاستغفارُ مفتاحُ الخيراتِ، ومجلَبةٌ للبركاتِ ودفعُ الشُّرور

ويشهد لذلك آياتٌ مباركات، منها:

أ- قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[56].

أي أمرَهم بالاستغفار الذي فيه تكفيرُ الذنوب السالفة، وبالتوبة عمّا يُستقبَل؛ فمَن تخلّق بهذه الصفة يسّر اللهُ له رزقَه، وسهّل أمرَه، وحفِظ شأنَه[57].

ب- وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا • وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[58].

وقد رُوي أنّ رجلاً شكا إلى الحسن البصري الجَدْبَ فقال له: (استغفرِ الله)، وجاءه آخر شكا الفقر فقال: (استغفرِ الله)، وثالثٌ شكا جفاف بستانه فقال: (استغفرِ الله)، وآخرُ سأل الولد فقال: (استغفرِ الله). فقيل له: أتيْتَك شكاوى شتّى فأمرتَهم جميعاً بالاستغفار؟ فقال: ما قلتُه من نفسي، إنما اعتبرتُ قولَ الله تعالى على

---

[51] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، 4/111–112.

[52] سورة النساء: 110.

[53] التفسير البسيط، 7/81.

[54] البحر المحيط، 4/59.

[55] تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت 333هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426 هـ – 2005 م، 10/559.

[56] سورة هود: 55.

[57] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت،1419 هـ، 4/285.

[58] سورة نوح: 10–12.

لسان نبيّه نوح عليه السلام: (**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا**)[59].

وقال عليّ الخوّاص رحمه الله: "ما توقّفت حاجةٌ من حوائج الدنيا والآخرة إلا من ترك الاستغفار"، قال تعالى: (**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى**) الآية، وقال تعالى: (**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا • وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ • وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ • وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**)؛ فاعلم أنَّه لا أنفعَ لِمَن عُزِل عن وظيفته، أو حُبِس على جُرمِه أو دَيْنه، من كثرة الاستغفار؛ لأنّ العزلَ والحبسَ خِزْيٌ بين الناس ونكالٌ، فإذا أرضى ربَّه بالاعتراف والاستغفار ورضي اللهُ عنه أخرجه في حينه من السجن. فإنِ استغفرَ ولم يُطْلِقْه الحقُّ تعالى، فذلك دليلٌ على أن التوبة لم تُقبَل، وأنَّ عنده بقيةَ كِبْرٍ أو ميلًا إلى معصيةٍ[60].

سادساً: الاستغفارُ مفتاحُ الرحمة

فبالاستغفار تُفتَح أبوابُ الرحمات الإلهية، إذ جعله اللهُ طريقاً لرجاء الرحمة؛ قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[61].

أي: هلاّ تُبادرون إلى التوبة من كفركم، فيغفرَ اللهُ عظيمَ جُرمكم، ويصفحَ عن عقوبتكم على ما أتَيْتُم من الخطايا؛ لعلّكم تُرحَمون بقبول تلك التوبة، إذ قد جرت سنّتُه ألا تُقبل توبةٌ بعد نزول العقوبة[62]. وقال الصاوي: قوله (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق؛ لأنه صادرٌ عن قادرٍ عليمٍ بالعواقب لا يُخلِف وعدَه[63].

سابعاً: لا نزولَ لعذابٍ مع الاستغفار

ذلك أنّ الله سبحانه أنزل أمانَيْن لهذه الأمة؛ فقال جلّ وعلا: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾[64].

قال بعضُ السلف: كان لنا أمانان من العذاب: النبيّ ﷺ والاستغفار؛ فلما مات النبيّ ﷺ ذهب الأمانُ الواحدُ وبقي الآخر. والمقصودُ من الآية بيانُ ما كان سببَ الإمهال وتأخير الإجابة بعذاب الاستئصال، وهو وجودُه ﷺ فيهم، أو وجودُ مَن يستغفرُ فيهم[65].

ومع أنَّهم استحقّوا أشدَّ العذاب والنكال والإهلاك الكُلّي بتكذيبك يا أكمل الرسل وتكذيب كتابك، فما كان اللهُ ليُعذِّبهم وأنت فيهم؛ أي ما دام مقامُك الشريف بين أظهُرهم وفي ديارهم. فإن عُذِّبوا لم يصِبكَ ما يصيبهم؛ إذ إرادةُ الله لم تتعلّق باستئصالهم وأنت فيهم. وكذلك ما كان اللهُ مُعذِّبَهم وهم يستغفرون؛ أي ما دام يُرتجَى من أنفسهم أو من خَلَفهم وذريّاتهم الإيمانُ والاستغفارُ في المستقبل—خلافًا للأمم السالفة التي هلكت بعذاب الاستئصال[66].

---

[59] ينظر: المحرر الوجيز، 374/5.

[60] العهود المحمدية، عبد الوهاب الشعراني، 126.

[61] سورة النمل: 46.

[62] تفسير المراغي، 147/19.

[63] حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (ت 1241 هـ)، 1383.

[64] سورة الأنفال: 33.

[65] البحر المديد، 327/2.

[66] الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت 920هـ)، ط1، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، 1419 هـ – 1999 م، 287/1.

(**وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ • وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**): وهكذا أفلت القومُ من البلاء الذي تعرّضوا له، ولم يُعَجِّلْ اللهُ لهم العذابَ إكرامًا لرسوله، وحفظًا لحرمة الموطن الذي تعطّره أنفاسُه، والأرضِ التي وطِئتها قدماه. وأكثرُ من ذلك: إنّ هذا الفضلَ الإلهي لا يُرفَع عن الأمة بعد انتقال نبيّها إلى الرفيق الأعلى؛ بل هو قائمٌ فيها إلى يوم القيامة ما دامت كلمةُ الاستغفار تجري على ألسنتهم كلما بعدوا عن ربّهم وغشيهم الجهلُ والضلال. فطريقُهم إلى الله مفتوحٌ أبداً إذا ذكروه واستغفروا لذنوبهم وعرضوا أنفسهم عليه تائبين نادمين. اقرأ قوله تعالى: (**وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**) ـــتجد أنسامَ الرحمة والرضوان تهبُّ على هذه الأمة، فتدفع عنها البلاء وتصرف عنها الجوائح. وهذا سرُّ اختلاف النظم بين قوله تعالى: (**وَما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**) وقوله سبحانه: (**وَما كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**)[67].

ثامناً: الاستغفارُ استفتاحٌ لأبوابِ الرّزق

أ- قال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[68].

قال الخطيب الشربيني: تضمنت الآية ترتيبًا بديعًا؛ أولُه قصر العبادة على الله لأنّ ما سواه مُحدَثٌ مربوب، والعبادة ـــوهي غاية الخضوع ـــلا تليق إلا بالخالق المدبّر. ثم قال: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ)، ثم (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ)، ووجْهُ الفرق بينهما: أن الاستغفار طلبُ المغفرة، والتوبة وسيلتها العملية بالندم والإقلاع؛ فالداعي إلى التوبة هو الاستغفار، ولذا قُدِّم ذكرُه لأنه متعلَّقُ الطلب ابتداءً، والتوبة لاحقةٌ في التنفيذ[69].

ب- وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[70].

دعوةُ هودٍ عليه السلام جمعت الاستغفارَ والتوبة: فالاستغفار طلبُ ستر ما سلف بالإيمان، والتوبةُ رجوعٌ عن الذنب بالاعتراف والندم. وإيمانُ الكافر نفسُه توبةٌ من كفره. والمعنى: اطلبوا من ربكم مغفرة ما تقدّم من شركٍ ومعاصٍ، وأخلصوا التوبةَ له؛ فإذا فعلتم أرسل اللهُ عليكم مطراً غزيراً متتابعاً ـــوقد مُنِعوه أعواماً ـــويزيدكم قوةً إلى قوتكم بالأموال والأولاد ورفعة الشأن، فلا تُعرِضوا عن الدعوة مُصرّين على الإثم[71].

ج- وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا • يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[72].

رتّب سبحانه إنزالَ الغيث على تحقّق الاستغفار؛ فدلّ ذلك على أن الاستغفارَ والتوبةَ والعملَ الصالح تكون أسبابًا لتيسير الرزق وفتح أبوابه[73].

تاسعاً: الاستغفارُ الطريقُ التي سلكها الأنبياءُ الكرامُ عليهم الصلاة والسلام

وهذا لسانُ حالِ جميعِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ وأتمُّ السلام:

أ- قال تعالى على لسانِ آدمَ وحوّاء: **﴿قالا ربَّنا ظلمنا أنفسَنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من**

---

[67] التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، 603/5.

[68] سورة هود: 3.

[69] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 مـ، 8/ 307.

[70] سورة هود: 52.

[71] التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط1، دار الفكر – دمشق، 1422 هـ، 1049/2.

[72] سورة نوح: 10–11.

[73] أضواء البيان، 275/8.

الخاسرين﴾[74].

وهذا بيانٌ لما كان بعد تذكُّرِهما نهيَ ربِّهما عن الأكل من الشجرة؛ فأقرّا بأنهما ظلما أنفسهما بطاعة الشيطان ومخالفة الأمر، وأظهرا ضعفَهما وعجزَهما عن لزومِ عزائم الطاعات، وسألا المغفرةَ والرحمةَ التي بها النجاةُ والفلاح؛ إذ لا فوزَ إلا لتائبٍ راجعٍ إلى ربِّه، لا لمُصِرٍّ يحتجُّ على ربِّه كما فعلَ إبليسُ حين أبى واستكبرَ وأصرَّ[75].

ب- وقال تعالى على لسانِ موسى عليه السلام: ﴿**قال ربِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي فغفرَ له إنَّه هو الغفورُ الرحيم**﴾[76].

فقد دعا موسى ربَّه مُعترفاً بخطئه ابتداءً—وهو قتلُ القبطيّ—سائلاً سترَه ومغفرتَه؛ فاستجاب اللهُ، وغفر له؛ فإنَّه غفورٌ لذنوبِ التائبين، رحيمٌ بهم، لا يعاقبُهم على ما تابوا منه وأنابوا[77].

ج- وقال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿**فاستغفرَ ربَّه وخرَّ راكعًا وأناب**﴾[78].

في قوله "وخرَّ راكعاً" عبّر بالركوع عن السجود لاشتراكهما في الانحناء؛ وقيل: المعنى "فخرَّ بعد أن كان راكعاً"، أي سجدَ وأناب. فغفرنا له ذلك أي ذلك الذنب، وإن له—بعد المغفرة—عندنا لزلفى أي قُربةً ومكانة، وحُسنَ مآب يومَ القيامة[79].

د- وقال تعالى على لسانِ صالحٍ عليه السلام: ﴿**وإلى ثمودَ أخاهُم صالحًا قال يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيرُه هو أنشأكم من الأرضِ واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إنَّ ربّي قريبٌ مجيب**﴾[80].

أي إنَّ ما سُرِد من فنونِ الإحسان داعٍ إلى الاستغفارِ عمّا وقعَ من تفريط، والتوبةِ عمّا باشروا من القبائح؛ وقد نُكِّت في النظم بتقديم العلّة الباعثة—وهي دلائل الإحسان—ثم الأمر بالاستغفار والتوبة، ثم ختم بذكر الغاية المناسبة (إنَّ ربّي قريبٌ مجيب)[81]؛ قال المراغي: أي اسألوه أن يغفر لكم ما تقدّم من إشراكٍ وآثامٍ، ثم ارجعوا إليه كلما فرّطتم بذنبٍ؛ فإنَّه قريبٌ من عباده، مجيبٌ لدعاء المخلِصين، ونظيرُها قوله تعالى: ﴿**وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ**﴾.[82]

هـ- وقال تعالى على لسانِ هودٍ عليه السلام: ﴿**ويا قومِ استغفروا ربَّكم ثم توبوا إليه يرسلِ السماءَ عليكم مدرارًا ويزدكم قوّةً إلى قوّتِكم ولا تتولَّوا مجرمين**﴾[83].

أي اطلبوا المغفرةَ لما سلف من شركٍ ومعاصٍ بالإيمان والطاعة، ثم توسّلوا إلى ربِّكم—بعد الإيمان—بالتوبة والندم والعزم على عدم العود؛ فإن فعلتم أرسلَ عليكم الغيثَ المدرار، وزادكم قوّةً إلى قوّتِكم—

---

[74] سورة الأعراف: 23.
[75] تفسير المنار، 312/8.
[76] سورة القصص: 16.
[77] أيسر التفاسير، 59/4.
[78] سورة ص: من الآية 24.
[79] تفسير البغوي، 63/4.
[80] سورة هود: 61.
[81] تفسير أبي السعود 221/4.
[82] تفسير المراغي 54/12.
[83] سورة هود: 52.

بالمال والولد والهيبة وبسط الأسباب—ولا تُعرضوا عن الحقّ مُصرّين على الإجرام[84].

الخاتمة

الحمدُ لله على سوابغِ إحسانه، وجزيلِ عفوه وغفرانه. خلص هذا البحث إلى أنّ الاستغفار عبوديةٌ جليلة قرّرها القرآن الكريم، وجعلها سُنّةَ الأنبياء والمرسلين ودأبَ الصالحين؛ إذ بها تُجبر التقصيرات وتُستَدرّ الرحمات. ويتبيّن أن أصل الاستغفار في لسان العرب راجعٌ إلى معنى السَّتر والتغطية، وهو معنى جامعٌ تندرج تحته دلالات النصوص في طلب محو الذنب وستر العيب.

كما تبرز الصلة الوثيقة بين الاستغفار وبين أسماء الله الحسنى المتعلّقة بالمغفرة؛ كـالغفور والغفّار وواسع المغفرة، بما يرسّخ في القلب توقّع القبول وسَعَة الفضل. والاستغفار في جوهره ذكرٌ لله تعالى يضطرد على اللسان ويخضع له الجَنان، ولذلك لزمه النبيّ ﷺ ملازمةً بيّنة في سائر أحواله.

وإذا كان الاستغفار من أيسر الأعمال مؤونةً لكونه ذِكراً لسانِيّاً، فهو في الوقت نفسه من أشرفها قدرًا لِما يحمله من انكسارٍ قلبيٍّ وإقبالٍ على الربّ؛ فيجتمع فيه ظاهر العبد وباطنه على قصد العفو والرِّضوان. ومن ثمّ، فإنّ استدامته عادةً وعبادةً—فرادى وجماعات—يُعدّ من معالم التديّن الراشد ووسائل ترميم السلوك وتزكية النفوس، سائلين الله تعالى أن يجعلنا من المُستغفِرين بالأسحار، المنيبين في كلّ آنٍ ودار.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع:

1. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي؛ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1415هـ/1995م.
2. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان؛ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، أثير الدين (ت: 745هـ)، المحقّق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1420هـ.
3. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة؛ أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ)، المحقّق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: د. حسن عباس زكي، القاهرة – مصر، 1419هـ، 468/5.
4. تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي؛ محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى (ت: 1205هـ)، المحقّق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
5. تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، الماتريدي؛ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: 333هـ)، المحقّق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1426هـ/2005م.
6. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود؛ محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: 982هـ), دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
7. التفسير البسيط، الواحدي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: 468هـ)، أصل تحقيقه في خمس عشرة رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، وصاغته لجنة علمية بالجامعة، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1، 1430هـ.
8. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا؛ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد

[84] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1414 هـ - 1993 م، 207/4.

بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، 1990م.

9. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، المحقّق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – منشورات محمد علي بيضون، بيروت – لبنان، ط 1، 1419هـ.
10. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب؛ عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر.
11. تفسير القشيري، القشيري؛ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ)، المحقّق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 3.
12. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر؛ مجموعة من العلماء بإشراف المجمع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة – مصر، ط 1، 1393هـ/1973م – 1414هـ/1993م.
13. التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي؛ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق – سورية، ط 1، 1422هـ.
14. التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني؛ محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (ت: 1182هـ)، المحقّق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط 1، 1432هـ/2011م.
15. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، السعدي؛ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ)، المحقّق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ/2000م.
16. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري؛ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، المحقّق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ/2000م.
17. جامع العلوم والحِكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ابن رجب؛ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَّلامي البغدادي ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: 795هـ)، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1424هـ/2004م.
18. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، ط 2، 1384هـ/1964م.
19. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، الصاوي؛ أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي الشهير بالصاوي المالكي (ت: 1241هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 2008م.
20. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان.
21. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علّان؛ محمد علي بن محمد بن علّان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (ت: 1057هـ)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 4، 1425هـ/2004م.
22. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، ابن رجب؛ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت: 795هـ)، جمع وترتيب: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1422هـ/2001م.

23. روح البيان، إسماعيل حقي؛ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان.
24. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، المحقّق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 1422هـ.
25. الشافي في شرح مسند الشافعي لابن الأثير، ابن الأثير؛ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: 606هـ)، المحقّق: أحمد بن سليمان (أبو تميم ياسر بن إبراهيم)، مكتبة الرشد، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط 1، 1426هـ/2005م.
26. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري؛ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط 4، 1407هـ/1987م.
27. غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني؛ محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، المعروف بتاج القرّاء (ت: نحو 505هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، ومؤسسة علوم القرآن – بيروت.
28. فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان؛ أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ)، اعتنى بطبعه وقدّم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، 1412هـ/1992م.
29. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشّاف)، الطيبي؛ شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: 743هـ)، مقدّمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي – الإمارات، ط 1، 1434هـ/2013م.
30. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضّحة للكَلِم القرآنية والحِكَم الفُرقانية، النخجواني (الشيخ علوان)؛ نعمة الله بن محمود (ت: 920هـ)، دار ركابي للنشر، الغورية – مصر، ط 1، 1419هـ/1999م.
31. الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري؛ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط 3، 1407هـ.
32. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل؛ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، المحقّقان: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1419هـ/1998م.
33. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الفَتَّني؛ جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي (ت: 986هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 3، 1387هـ/1967م.
34. محاسن التأويل، القاسمي؛ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، المحقّق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1418هـ.
35. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية؛ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، المحقّق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1422هـ.
36. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي؛ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)، المحقّق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت –

لبنان، ط 1، 1420هـ.

37. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس؛ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، المحقّق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

38. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: 502هـ)، المحقّق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم – الدار الشامية، دمشق – بيروت، ط 1، 1412هـ.

39. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هارون بن موسى القارئ (ت: 170هـ)، المحقّق: د. حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد – العراق.

40. الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، الدامغاني؛ أبو عبد الله الحسين بن محمد (ت: 478هـ)، المحقّق: عربي عبد الحميد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

41. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي؛ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدّمه وقرّظه: أ.د. عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1415هـ/1994م.